

هجرة غير شرعية

(بمناسبة غرق قارب باربعين شابا

مصريا كانوا هاربين من البطالة

للعمل في اوروبا .. اغسطس 2012)

الأربعون !

كانوا شبابا يافعين

قدموا من الدلتا ،

ومن عمق الصعيد ،

ومن دروب العاصمة

بسواعد سمراء لوجهاً لهيبُ الشمس ،

وامتلات بأشواك الميقينُ

كانوا جميعاً جائعينُ

يتوقعون الخبز في أفران أوروبا

وقد يتطلَّعونُ

لصبية شقراء تختصر المصاعب والسنين !

كانوا شباباً حالمين

يتلمسون الفجر يخرج من شقوق الليل ،

والأزهار تنبت في عرى الصبَّار ،

كانوا صامتينُ

في صدر كل منهمو أمل حزينُ

وأثارة من ذكريات لم يفارقها الحنين°

وتجمعوا فى ركن مقهى ،

لم يكن فيه سوى ضوء هزيل !

قسماتهم تحكى عطاش الأرض ،

فى صيف المشرقى ،

والمعيون°

لم تكتحل بالنوم .. آلاف المسنين°

وتحجرت فيها دموع الكادحين !

وأتى المقاولُ ،

أفروا فى جيبه ما يملكون°

وكانهم .. ثمنا لحب الموت كانوا يدفعون !

وعلى رمال الشط .. ساروا مرهقين°

وتقاطروا متسللين ..

حسبوا الخلاص بأن يجوبوا البحر ،

بعد البر .. غير مجهّزين

في قارب شاخت قوادمه ،

وضجّ به الأنين !

كان الظلام يلفهم ،

والموج يرفض ضربة المجداف في غضب عنيد

والملاح يصعد للخياشم والجفون

والبحر ..

ليس البحر تلك اللوحة الزرقاء ،

تملاً حائط الأفق الجميل

بل غضبةً المجهول ،

تعتصر المضحايا في ذهولٍ!

حتى الشراع تمزقت أحباله ،

وسرت من المألواح .. رائحةُ المجدود!

غرق الذين استسلموا ،

وطفا الذين تماسكوا ،

واحترار في تعدادهم .. حرسُ المجدود!

* *

في نشرة الأخبار ، قالوا :

إنهم بعض الشباب المضائعين

المخارجين على قوانين البلاد ،

وقد تملكهم جنون!

وتحدث الفقهاء عن سوء المصير ،

لكل منتحرٍ ،

وقال البعضُ :

بل شهداءُ في حلل الحريرُ !

* *